

توطئة

بسم الله الرحمن الرحيم

اتبعت حتى الآن في اخراج مواد الموسوعة الترتيب الزمني، واضطرت في هذا المجلد الى خرق هذه القاعدة بعض الشيء ، فهذا أمر فسرضته عليّ طبيعة المجلدين التاليين ، لأن كل واحد منهما صنف من قبل مؤرخ منفرد، وجمعت مواد هذا المجلد من كتابات عدد من المؤرخين هم:

١- ابن فضل الله العمري: شهاب الدين أحمد بن يحيى ، ولد بدمشق سنة ٧٠١هـ / ١٣٠٢ م، لأسرة عربية عريقة تنسب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وعملت هذه الأسرة منذ قرن تقريباً في ديوان الانشاء بمصر والشام، ومع أن العمري ولد بدمشق فانه شب وتعلم في مصر، واحترف مهنة آله ، فعندما ولي والده كتابة السر في دمشق، عمل أحمد في ديوان الانشاء، ولما تحول والده إلى مصر صار ابنه أحمد هو الذي يقرأ رسائل البريد على الملك الناصر محمد بن قلاوون.

ونال ابن فضل الله معارف جمة مما توفّر في عصره، وحقق مهارة واسعة في كتابة الانشاء والأعمال الديوانية، وأكسبه هذا معلومات موسوعية حول عصره من جميع الجوانب ، ولحسن الحظ أنه أودع هذه المعلومات في عدد من المصنفات أهمها موسوعته « مسالك الابصار في ممالك الأمصار».

وجميع ما كتبه ابن فضل العمري هام جداً ، القليل منه ما نشر ،

والغالب هو ما زال ينتظر النشر ، لاسيما موسوعته « مسالك الأبصار » واهتمت هذه الموسوعة بالمقام الأول « بالجغرافيا والتاريخ » ، وما نشر منها حتى الآن قليل جدا ، وهناك محاولات ومشاريع لنشرها كاملة ، وهذا مما يتوجب على المؤسسات الثقافية والمعنية بالتراث في سورية ، لأن العمرين ، وإن عاشوا في مصر ظلوا متمسكين بالانتماء الى بلاد الشام .

والجانب الجغرافي في موسوعة العمري متفوق على الجانب التاريخي ، وهذا الجانب على أهميته ، وطريقة عرضه الخاصة لا يرقى بأي حال إلى مكانة القسم التاريخي في موسوعة النويري .

لقد لفق الاستاذ فؤاد سركين نسخة مخطوطة من موسوعة العمري جمعها من عدة مكتبات ، ونشرها كما هي مصورة ، لكن بما أنه لم يصور أفضل الموجود من مخطوطات مسالك الأبصار ، ولا ارتفاع ثمن نسخة الكتاب ستظل الفائدة من هذا العمل محدودة جدا .

وعدت الى هذه الطبعة المصورة وصورت منها المواد التاريخية المتعلقة بالحروب الصليبية ، ثم نسختها وحققها ، وهي بهذا تنشر للمرة الأولى ، ولا شك ان فيها ما يفيد من معلومات .

٢- التاج السبكي : تاج الدين ابو نصر عبد الوهاب بن تقي الدين أبي الحسن علي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام السبكي ، ولد بمصر سنة ٦٢٧ هـ / ١٣٢٧ م ، وتوفي بدمشق سنة ٧٧١ هـ / ١٣٧٠ م وهو ابن اربع وأربعين سنة هجرية .

ولد السبكي في بيئة علمية ، ونشأ وسط بيت علم وثقافة ، مما أهله لتولي مناصب دينية وتعليمية رفيعة منذ مطلع شبابه ، فقد مارس الافتاء

وهو في العشرين من عمره وولي الخطابة في الجامع الأموي، وولي القضاء أيضاً، وتعرض للمحنة وسجن مدة ثمانين يوماً، وانعكس هذا في تصنيفه لكتابه «معيد النعم ومبيد النقم».

وعلى أهمية هذا الكتاب صنف السبكي كتباً أخرى خاصة في تراجم الشافعية فقد صنف طبقات الشافعية الكبرى، ثم اختصره إلى طبقات وسطى ثم اختصره إلى طبقات صغرى.

وبما أن صلاح الدين الأيوبي كان شافعي المذهب، فقد ترجم له السبكي ترجمة وافيه، لسوء الحظ أنها وصلتنا مبتورة الآخر، وقمت بإعادة تحقيق هذه الترجمة وضبطها مجدداً، وإيداعها في موسوعتنا هذه لتكتمل الفائدة.

٣- ابن قاضي شهبة: بدر الدين أبو الفضل محمد بن تقي ابن قاضي شهبة، الأسدي الشافعي الدمشقي، ولد في دمشق سنة ٧٩٨هـ/ ١٣٩٦م وفيها نشأ، وكان أبوه من علماء عصره، اهتم بتثيقه بنفسه، ودفعه أيضاً إلى رجال العلم والدين في أيامه، وقد تسلم عدة مناصب دينية وتعليمية، وصنف عدة كتب منها في التاريخ سيرة لنور الدين محمود بن زنكي، وكان قد عدّ في أيامه فقيه الشام بغير مدافع، عليه مدار الفتيا والمهم من الأحكام، وظل يتمتع بصدارته حتى وفاته سنة ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م.

وتعرفت للمرة الأولى على كتابه الذي كتب فيه سيرة نور الدين سنة ١٩٦٧ فقد رأيت نسخة منه في مكتبة أياصوفيا، وأخرى في مكتبة نور عثمانية، وكان تصوير المخطوطات وقتها أمراً ميسوراً في استانبول، وعلى نسخة نور عثمانية اعتمدت في عملي، ذلك أن نسخة أياصوفيا حملت عنوان « الدر الثمين في سيرة نور الدين ».

ليس في هذه السيرة ما هو متميز او مبدع سواء في المنهج أو المواد، لكنها السيرة الوحيدة المفردة التي وصلتنا حول نور الدين ، لهذا عمدت الى تحقيق مخطوطتها ونشرها في موسوعتنا هذه.

ومفيد أن أشير أنني بدأت بجمع مواد موسوعتنا هذه منذ ثلاثين سنة، وفي اثناء عملي في المكتبة الوطنية بباريس وقفت على كتيب صغير حمل عنوان «الاعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاحين على ديار المسلمين» تصنيف:

٤- أحمد بن علي الحريري، لكن من هو أحمد بن علي الحريري هذا؟ ليس في المصادر من كتب التراجم جواب لهذا السؤال، والذي نعرفه فقط أنه كان من رجال القرن العاشر للهجرة ، ذلك أن مخطوطة بارس بخط المؤلف، وهو قد كتبها في أواخر شوال سنة ست وعشرين وتسعمائة [١٥٢٠م].

ليس في الكتاب اشارة أخرى للمصنف ، هذا ولم يذكر الحريري مصادره، وخط الحريري نسخي جميل ، لكن لغته ليست فصحي بل أقرب إلى الدارجة فيها أخطاء كثيرة، نهت عليها، لكن لم ابدلها ، لأن المخطوطة المعتمدة بخط المؤلف.

وأهمية كتاب الحريري، أنه ربما الوحيد بالعربية الذي أوقفه صاحبه على التاريخ للحروب الصليبية فقط، ذلك أن المؤرخين العرب عرضوا أخبار الحروب الصليبية ضمن الاطار العام لأحداث تاريخ الاسلام فلقد رأينا جميع النصوص المتقدمة قد وردت أصلا ضمن مصنفات تاريخية اسلامية عامة، ولايمكن هنا استثناء كتاب الروضتين ، لأن أبا شامة أوقفه للتأريخ للدولتين الأتابكية النورية والصلاحية الأيوبية.

ولا يحوي كتاب الحريري تاريخ الحروب الصليبية بشكل مفصل ، بل كل ما هنالك مجرد اشارات الى أهم الأحداث — بنظر المؤلف بشكل متسلسل زمنيا ، مما يوحي بأن المصدر الذي اعتمده بشكل اساسي كان مرتبا حسب طريقة الحوليات، وفي نوعية الاختيار دليل على التدقيق التاريخي للمصنف ، أقول تذوقه ، لكن ليس احترافه، فهو كثيرا ما يورد ذكر عدد من الحوادث التي وقعت في سنين متتالية تحت عنوان تاريخ سنة متقدمة ، ثم هو كثيرا ما يخطئ بتواريخه ، ويبدو أنه كان ذا ذوق أدبي بدليل ايراده لبعض المقطوعات الشعرية.

وكنت قد نشرت هذا الكتيب سنة ١٩٨١ في دمشق ، وقمت الآن باعادة نشره بعد مراجعته وادخال بعض التعديلات على حواشيه.

من الله جل وعلا أرجو التوفيق والعون والسداد، والله تعالى أشكر وأحمد، والصلاة والسلام على خاتم الانبياء وسيد العرب والعجم محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه أجمعين.

دمشق ١٣ جمادى الأولى ١٤١٦ هـ

١٩٩٥/١٠/٧ م

سهيل زكار